آليات الحجاج في عناوين مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس

سارة بوفامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة . الجزائر

ملخص

غاية الكاتب أثناء الكتابة إقناع المتلقي وتتفاوت هذه الغاية بتنوع النصوص، ومجالس التذكير بعده نصا تفسيريا لكلام الله عز وجل يستنبط منه الأحكام والتعاليم التي يسعى ابن باديس ورجال الإصلاح عموما الانتقال بها من عالم الكتب إلى عالم الواقع، هذا الواقع الذي يواجه فيه صراعات مع أقطاب كثيرة أبرزها فرنسا ودعاة الإدماج والطرقية الضالة والمضللة، وألد هؤلاء الأعداء جميعا هو الجهل، ولذلك كله يسعى ابن باديس في بناء نصوصه إلى استمالة القراء واستقطابهم ومن ثمة إقناعهم بالحجة القلبية أو العقلية أو كليهما معا وقد نجح في ذلك نجاحا باهرا شهد له به الأعداء قبل الأصدقاء، هذه الغاية يوفر لها ابن باديس الأسباب في كل أجزاء النص، بل يوظفها قبل ولوج عالم النص، باختياره عناوينها بدقة وعناية مدعومة بآليات الحجاج وأدوات الإقناع ليحقق منها أهدافه المسطرة مسبقا.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، مجالس التذكير، الاستقطاب، أدوات الإقناع.

Abstract

.

The arguments mechanisms in the reminding council titles from the wise expert words of Abdelhamid Ben Badis Emir

The writers' aim is to persuade the reader according to the variety of texts. "The reminding Council" is an exegesis text of the holy Quran from which are extracted the dispositions and rules that Ibn Badis and the reformers sought to transfer from theoretical books to practical aspects of life in order to face the conflicts with France and the partisans of integration. As ignorance was the major enemy is ignorance, Ibn Badis sought in the construction of his texts to attract the readers and then to persuade them via the emotional or rational argument or by both of them. To achieve his aims, Ibn Badis planned and used text parts before getting into the text by choosing accurately the titles supported by the arguments' mechanisms and the persuasion tools.

مقدمة:

الإقناع هو العملية الكلامية التي تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المتلقي والجمهور قصد تفاعله إيجابيا مع الفكرة أو السلعة المعروضة عليه لاعتماد الحجج والبراهين الإثباتية عبر وسائط طبيعية أو صناعية .[1] وهو غاية كل رسالة يرسلها المرسل إلى المتلقي، لذلك يستثمر آليات الحجاج المختلفة والمتنوعة ليحقق هذه الغاية. " فيصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها فينتج عن ذلك أنه حينما وجد خطاب اللغة فإن ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا وهذه الاستراتيجية في الحجاج نفسه وهي تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية[2] وتتفاوت درجة توظيف آليات الحجاج من نص إلى آخر حسب نوع النص والفكرة التي يحملها وحسب المرسل والمتلقين لهذه الرسالة. ولذلك نجده بارزا في النصوص العلمية والاشهارية أكثر منه في نصوص الوصف والقص[3].

أما المدونة التي ننقب فيها عن آليات الحجاج فهي مدونة تفسيرية تستمد مادتها من القرآن الكريم، المرسل فيها هو عبد الحميد بن باديس والمتلقي هو الشعب الجزائري بتنوع طبقاته وأفكاره وآرائه وتوجهاته ومستوياته العلمية ومدركاته المعرفية، وتأثره بسياسة المستعمر الإدماجية من جهة وسيطرة الطرقية من جهة أخرى.

ينطلق ابن باديس في فكره الإصلاحي من فكرة مفادها أن القرآن هو الحل وعمل جاهدا على نشر هذه الفكرة وكسب طبقة جماهرية واسعة تحت لواء هذا الفكر الإصلاحي المستمد منهجه من رؤية القرآن الكريم للعالم.

من بين هذه الجهود - إن لم نقل من أهمها – عقده لمجالس تفسيرية كل ليلة بجامع سيدي الأخضر بقسنطينة في تواصل مباشر مع المتلقين فكان تفسيرا تشع فيه الروح

الجزائرية ومتصل بالراهن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الجزائري. فحقق التأثير الواسع في أوساط المجتمع.

انشغل ابن باديس بالمجالس التفسيرية المباشرة عن تدوينها لأنه رأى فيه مشغلة "إذ كان يرى حين تصدّى لتفسير القرآن- أنّ في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدّم وإضاعة لعمر الضلال، لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجّل من الاهتداء به ما يتعجّله المريض المنهك من الدواء وما يتعجّله المسافر العجلان من الزاد"[4]. في الوقت ذاته أدرك قيمة الصحافة ومكانتها وقدرتها على ان تكون جسرا رابطا بين فئات المجتمع وشرائحه. فالخطاب الصحفي يفرض ويبني الفضاء العام على حد تعبير باتريك شادورو فهو يتأسس على اللغة التي تضطلع بوظيفة تشكيل رؤية العالم [5]ولأن ابن باديس ينطلق في مجالس التذكير من كلام الله عز وجل فهو يطل على العالم من رؤية القرآن الكريم ويحاول جاهدا إسقاطها على الواقع الجزائري بكل حيثياته، ويحاول حمل المتلقين على الاقتناع بفحوى خطابه، ولذلك نجده يتبنى طريقة خاصة في التفسير وأسلوب كتابة يقوم على مادة منتظمة بطريقة مخصوصة ومدروسة مراعيا فيها حالة المخاطبين وتنوعهم بغية الوصول بهم إلى حالة من التفاعل تفضي بهم إلى الاقتناع بآرائه وآراء الإصلاحيين عموما.

فقدم على مدار عشر سنوات افتتاحيات شهرية للنشر في صدر مجلة الشهاب اختار لها عنوانا جامعا" **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** . ولأن عملية الكتابة الصحفية التي يمارسها عبد الحميد بن باديس ليست مجرد نقل للخبر أو المعلومة، وإنما هي أفكار ومبادئ يستنبطها من الآية القرآنية، ويوجهها إلى جمهور القراء على تنوعهم المذكور سابقا. كما أن تميز المقال الافتتاحي عن غيره من المقالات المنشورة في المجلة إذ يمثل المقال الافتتاحي المجال الذي تتجلى فيه الأساليب الحجاجية التي تعكس أيديولوجية الجريدة .[6] ولذلك على اختياراته أن تكون مدروسة ودقيقة ليتحقق الهدف المرجو منها وهو كسب

جمهور القراء تحت راية الفكر الإسلامي المتجدد . ومن أهم هذه الاختيارات التي يجب ان يوليها الكاتب عناية هي اختيار العنوان .

العنوان آلية من آليات الحجاج:

العنوان تعريفه وأهميته:

العنوان لغة: جاء في لسان العرب عَننت الكتاب وأعنَنتُه لكذا أي عرّضته له وصرفته إليه. وعَنّ الكتاب يعُنُّه عَنّا وعَنَّنَه :كَعَنونه ،وعَنونتُه وعَلونتُه بمعنى واحد، مشتق من المعنى. وقال اللحياني: عَنَنت الكتاب تَعنينا وعَنيته تَعنية، إذا عَنونتُه، أبدلوا من إحدى النونات ياء، وسمي عُنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته، وأصله عُنّان، فلما كثرت النونات قلبت إحداها واوا، ومن قال عُلوان الكتاب جعل النون لاما، لأنه أخف أظهر من النون. ويقال للرجل الذي يعرّض ولا يصرح :قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته..."[7]

العنوان اصطلاحا:

العنوان علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته ،و هو العتبة الأولى التي يطأها القارئ يولج منها إلى عالم النص، فهو الرسالة الأولى أو العلاقة الأولى التي تصلنا ونتلقاها من ذلك العالم بصفة آلة لقراءة النص. هو لافتة دلالية ذات طاقات مكتنزة ومدخل أولي لابد منه لقراءته[8] ويعد العنوان أهم عتبات النص وهي ما تسمى النص الموازي أوالنص المصاحب paratexte بل هو نوع من التعالي النصي Transtextualité الذي يحدد مسار القارئ التي يمكن لها أن تبدأ من الرؤية الأولى للكتاب[9] أو هو نواة أو مركز للنص يقدم لنا معرفة كبرى لضبط تماسك النص وفهم دلالته.[10]

بصفة عامة تعد العناوين أداة إبراز الخبر داخل النص . حيث إن عملية صياغة الخبر تتم على مستوى الخطاب ككل، لا على مستوى الجملة فقط، والعنصر الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه يؤثر حتما في فهم كل مايأتي لاحقا، هكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه.

اختيار العنوان:

يحمل النص فكرة يريد أن يحمل المتلقي على الإيمان بها ،من هنا كان لزاما على مرسلي الخطابات –نقادا ومبدعين ومتكلمين- التسلح بعدة آليات حجاجية يتم تأسيس النصوص عليها، بحيث تشكل بؤرا دلالية تجذب القراء والمؤولين [11] ولأن المرسل والمتلقي " هاتين الديناميتين اللتين (أ،ب) اللتين تتسببان في إيجاد النص، يسبقهما ويحايثهما دينامية تفاعلية بين المرسل/ الآخر، ذلك أنه مهما كان نوع الجنس الأدبي، فإن التفاعل موجود، ولكن درجته هي التي تختلف، فليس هناك خطاب أحادي الجانب موجه إلى ذاته ينمو في انسجام وطمأنينة، وإنما لابد من وجود جانب آخر، وليكن ذات المرسل نفسها كما نجد في بعض أنواع الخطاب ..."[12] وعلى المتلقي أن يستضيف النص ويعقد معه صلات حميمة ليتعاونا معا على إنجاز مهمة الفهم والتأويل" . تنطلق عملية الاستضافة من العنوان الذي يمثل أهم عتبات النص لذلك حقيق به أن يحمل شحنة حجاجية معتبرة تدفع القارئ إلى ولوج عالم النص وتجاوز العتبة الأولى، فعلسه إذاً أن يكون مشحونا بطاقات حجاجية تحمل القارئ إلى امتطاء المركب الذي يسيره الكاتب، مؤثرا فيه عن طريق آليات متنوعة تحملها تلك العبارة الموجزة، ولذلك فاختيار العنوان مهمة صعبة وحساسة يقف عندها الكاتب مطولا بالتدبر والتأمل، لانتقائه بعناية لما له من دور هام في استقطاب القراء وشد انتباههم وتحريك فضولهم نحو مواصلة قراءة النص بعد تفاعلهم مع النص الموازي -على حد تعبير جرار جنيت -ومن ثمة توجيه رأي القارئ نحو رأي الكاتب وضمه إلى المجموعة التي ينتمي إليها .إذ يجب على الكاتب أن يضع اهتمامات القارئ في حسابه عند اختيار العنوان ،لكي يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر من خلال تراكم علامات الاستفهام في ذهنه والتي بالطبع سببها الأول هو العنوان، فيضطر إلى دخول عالم النص بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات بغية إسقاطها على العنوان.[13] **عنوان المجلة:**

إن حالة تعدد التيارات الفكرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري في فترة تاريخية حرجة تفرض على كل مجموعة فكرية إنتاج خطابات تكفل لها جذب المتلقي وكسبه، وارتفاع نسبة القراء وإن مجموعة الإصلاحيين كانت مقتنعة حد النخاع أن استقلال الجزائر ولحاقها بركب الدول المتطورة بعودتها إلى الصراط المستقيم واتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم وفهم القرآن الكريم الفهم الصحيح مع ضرورة التطبيق العملي لمحتواه، فالقرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث لتلك النقائض من أصولها... فهو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه"[14].

وإذا وقفنا أمام اختيارات ابن باديس – رائد الفكر الإصلاحي في الجزائر سنجده حريصا ودقيقا في اختيار العناوين الدالة على المضامين التي يبثها في المجتمع . سواء تعلق الأمر بعنوان المجلة أو عنوان الافتتاحية أو عنوان المقالات التي ترد عنوانا فرعيا تحت العنوان العام .وإن أول ما يقف عنده القارئ هو عنوان المجلة الذي يعبر عن هويتها ويوحي بتوجهها وأهدافها. وقد وسم ابن باديس آخر المجلات التي أصدرها قبل عشر سنوات من وفاته مجلة **الشهاب** وهي لفظة مشحونة بدلالات عميقة يمكننا أن نستدل عليها من معناها المعجمي. يقول فيها ابن منظور:" شهب: الشُهب والشُهبة: لون بياض يصدعه سواد في خلاله....والشهاب شعلة نار ساطعة، والجمع شُهب وشُهبان وأشهُب، وأظنه اسما للجمع، قال:

تركنا، وخلى ذو الهوادة بيننا.....بأشهب نارينا، لدى القوم نرتمي

وفي التنزيل العزيز :{ **أو آتيكم بشهاب قبس**}.[15] ارتبط مادة (ش ه ب) بالبياض والسواد معا فلا وجود لسمة الأشهب دون حلول البياض في مكان يعم فيه السواد. فيكون البياض أظهر وأوضح . وفي قوله **الشهاب شعلة من نار** تتراءى لنا الصورة ذاتها إذ لا يحدث إشعال النار إلا في حال الظلام والظلام هو الوصف الدقيق للوضع الذي يعانيه المجتمع الجزائري . ومجلة **الشهاب بما** تحويه من هدي القرآن والسنة ونور العلم والمعرفة هي القبس والنور الذي سيضيئ تلك الظلمة ويزيحها وينير درب أبناء الجزائر بإتباعهم

لأفكارها وتوجهاتها، رغم الشدائد التي عانتها في سنواتها الأولى من مكائد وافتراءات إلا أنّها " ثبتت نجما ساطعا يزيد قراؤه ومشتركوه ولا ينقصون."[16]

هكذا كانت تصف الإدارة مجلة الشهاب وهذه كانت غايتها وتوظف لها الأسباب لتحققها في البيان نفسه عن إدارة المجلة: "لقد كادوا أن ينالوهم بسوء لولا سعي صادق تؤيده الحجة ويحوطه الإخلاص من جهة الشهاب، وعقول كبيرة تهديها الحكمة ويقودها الإنصاف من جهة من بيدهم أزمة الأمور هنا وهناك.[17] فتوظيف آليات الحجاج من أهم الأدوات التي تتسلح بها مجلة الشهاب والتي يسعى كتابها ومسيروها سعيا حثيثا لاستثمارها في خدمة استمرارية المجلة ونجاحها وتحقق أهدافها.

واختيار عنوان الشهاب للدلالة على النجاة والنور فه مسحة تفاؤلية ويحمل طاقة ترغيبية إيجابية تحرك المجتمع بتنوع أطيافه إلى التوجه نحو قراءة النص بعد انجذابهم للنص الموازي.

وإذا ما قارنا بين عنوان **الشهاب(1929-1939)** وعنوان أول مجلة أسسها عبد الحميد بن باديس **المنتقد(1925)** نلمس انتقالا جوهريا في طريقة اختياره العنوان، فلفظة **المنتقد** تحمل دلالتها المباشرة في ذاتها وتصرح بمبدأ المجلة وهدفه علنا وهو انتقاد لكل من لم يسر على النهج الذي يراه مؤسسو المجلة صحيحا ،كما شرحه ابن باديس في العدد الأول:" ننتقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاويم، وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير، من الفرنسويين والوطنيين."[18] هذا التصريح وهذه الجرأة تبدو مختبئة خلف رمزية لفظة **الشهاب** . مع أن المبادئ والأهداف هي ذاتها، إذ جاء في العدد الأول للشهاب -موقعا باسم النخبة – :

- **شهاب** تنجلي بنوره ظلمات الجهل والخرافات والأوهام
- **شهاب** رصد على الدين الصحيح من أن تلمسه أيدي دجاجلة السوء، وأنصار البدعة

- **شهاب** ثاقب يقذف به كل شيطان رجيم، وأفاك أثيم، ودجال مارق، وقتات منافق، فيحترق من عاند واعتدى. ويسلم من اقتدى بإخوانه من الجن لما لمسوا السماء فوجدوها ملئت حرسا شديدا وشهبا.[19]

ربما يعود ذلك لأحد هذين الأمرين أو لكليهما:

- تفادي الوقوع في صراعات مع المستعمر ومع تيارات أخرى لها سلطة ونفوذ عند السلطة الاستعمارية. لتجنب مصير المنتقد.[20]

- تأسيس مجلة الشهاب في مرحلة تتسم بالوعي والنضج الفكريين، واتسعت فيها نسبة النخبة الجزائرية المثقفة باللغة العربية بعد سنوات من الجهود والتأصيل والتأسيس لبرامج تربوية وتعليمية وتثقيفية ،أفضى إلى هذه الحالة الفكرية الثقافية المتميزة والتي تستنير بأنوار محتوى **الشهاب.**

عنوان المقال الافتتاحي:

عنون عبد الحميد بن باديس تفسيره لآيات كتاب الله المنشور في شكل مقالات افتتاحية في مجلة الشهاب : **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** ولم يكتف بوصفها بتفسير القرآن الكريم . لأنه يفترض في العنوان أن يسجل علامة عند المتلقي حتى يعلق في ذهنه ويصبح أيقونة دالة على النص وعلى صاحبه ولو عنونت بعنوان عام لما كان لها هذا الصدى والشيوع والجذب الجماهيري في زمان الإصدار أو في الأزمنة اللاحقة حتى وقتنا الراهن. لأن اللفظتين المركبتين مجالس- التذكير توحيان بالحركية والتفاعل اللتين حملتا من مسجد سيدي الأخضر إلى صفحات مجلة الشهاب، فمن فاته الاتصال المباشر بابن باديس فسيأتيه شهاب من قبس تفسيره الشفوي، لتعميم الفائدة على حد قول عبد الحميد بن باديس نفسه[21]، ويصفه البشير الابراهيمي: "أنه نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابه"[22] ومع أن أحمد حماني يؤكد أن هناك تفوق للتفسير الشفوي على التفسير المكتوب " فمن جمع بينهما –سماعا وقراءة- تيقن أنه في الدرس الملقى أبلغ منه وأعظم تأثيرا منه في المكتوب المقروء، وإن

كان فيه موفقا عظيم التوفيق، إذ كان في إلقاء التفسير يبلغ به ما شاء الله أن يبلغ في نفوس السامعين وقلوب الواعين وعقول الحاضرين."[23] ومع ذلك ففي العنوان **-مجالس التذكير-** تصوير للمشهد الجامع بين الشيخ الذي يقدم المادة العلمية وطلبته يتلقونها مشكلين حلقة مسجدية يتذاكرون فيها كتاب الله، هذا ما تصوره لفظة مجالس في النفس أما اختياره التذكير دون كلمات أخرى تنتمي للحقل نفسه كمجالس التفسير أو مجالس الوعظ أو مجالس الذكر... لأنه يرى في لفظة تذكير طاقة تستوعب كل ذلك وتتجاوزه إذ يقول :"الذكر أصل من أصول الدين العظيمة أو هو الدين كله، ولذا امتلأ القرآن بآيات المشتملة عليه. فالمسلم إذاً شديد الحاجة إلى معرفته وفقهه وطريقة العمل به.[24] وكما دلّ العنوان على موقف الكاتب واستنتاجاته فإنه يجب عليه أن يضع اهتمامات القارئ في حسابه عند اختياره. لذلك نجد هذا العنوان يحقق وظيفة الحجاج بمخاطبته العقل في دلالته على النص الذي يحمل تذكيرا من كلام الله عز وجل، كما يحققها –الوظيفة الحجاجية- بمخاطبته النفس عن طريق توظيف الأساليب البديعية .[25] والحجاج هنا مرتبط بتوظيفه ظاهرة السجع التي عمد الكاتب إلى توظيفها في اختياره من أسماء الله الحسنى ما يناسب لفظة –التذكير- فاختار –الخبير- لتناسب الوزن والروي وحدّه أن يقال : تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد [26] ونوعه التسجيع المتوازي : وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى : فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة .

وللسجع وظيفة حجاجية إضافة إلى الوظيفة الجمالية والحجاج فيها متعلق بمخاطبة النفس قبل العقل لأن الكلام :"إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإن لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به لأجله"[27] فهذا التناسب الموسيقي يجعل العنوان أعلق بالذهن وأسهل للتذكر والاستحضار وهو مراد الكاتب.

فالغاية التأثيرية أداة مهمة من أدوات الحجاج يلجأ إليها المرسل لإقناع المرسل إليه، إذ يشكل الإقناع ركيزة مهمة من ركائز العمل الإعلامي الذي يهدف إلى التأثير في تكوين الرأي العام وتغيير المعتقد والموقف والسلوك [28]وإن توظيف الكلمات المسجوعة في العنوان لهي من عادة الإصلاحيين المتشبعين بالثقافة العربية، حرصا منهم على إثبات هوية وجمال هذه اللغة وتوظيفا لجمالها في خدمة الغاية الحجاجية.[29]

عناوين مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير-العناوين الفرعية-:

يعد عنوان **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** عنوانا رئيسا لافتتاحية مجلة الشهاب، ويندرج تحته في كل عدد عنوان فرعي يدل على مضمون الآية أو الآيات المفسرة ويحمل الفكرة العامة منها.....[30]

فتكون هيكلة العنوانين وفق الترسيمة على النحو الآتي:

الشهاب

↓

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

↓

العناوين الدالة على تفسير الآيات

↓

العناوين الفرعية

تنوعت صياغة العناوين بين القصر والطول وبين الخبرية والإنشائية وبين المباشرة والرمزية وبين والوصفية وإصدار الأحكام ...وتعددت أدوات الحجاج التي وظفها ابن باديس بتعدد المواضيع وتنوع الآيات المفسرة التي يقدم لها العنوان المختار.

وهذه بعض العناوين التي تبرز البعد الحجاجي في العناوين التي اختارها عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير:

	عنوان المقال	الآية
1.	دعوة أهل الكتاب	15-16- المائدة
2.	سبيل السعادة والنجاح	108 يوسف
3.	كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها	النحل125
4.	آية الليل وآية النهار	الإسراء 12
5.	إرادة الدنيا وإرادة الآخرة	الإسراء 18
6.	صدق المدخل والمخرج	الإسراء 80
7.	عموم النوال من الكبير المتعال	الإسراء 20
8.	النظر في تفاضل البشر	الإسراء 21
9.	أصول الهداية في ثمان عشرة أية	الإسراء 22-39
10.	بر الوالدين	الإسراء 23
11.	صلاح النفوس وإصلاحها	الإسراء 25
12.	إيتاء الحقوق إلى أربابها	الإسراء 26
13.	إخوان الشياطين	الإسراء 27
14.	مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين	الإسراء 81
15.	حسن المقال عند العجز عن النوال	الإسراء 28
16.	تفاوت الأرزاق من حكمة الخلاق	الإسراء 30
17.	حفظ النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان	الإسراء 31-33
18.	نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم	الإسراء

19. الطور الأخير لكل أمة وعاقبته	
20. القرآن شفاء ورحمة	الإسراء 82
21. الود من إكرام الله لأوليائه	مريم96
22. من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد	طه 114
23. دفاع الله عن المؤمنين	الحج38
24. الفرقان	الفرقان 63
25. تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل	الفرقان 62
26. القرآن يصف عباد الرحمن	الفرقان 63
27. استثناء التائبين من المذنبين	الفرقان 70
28. أيهما أكمل : العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟	الفرقان 65-66
29. الحياة بعد الموت	يس 11
30. الفرار إلى الله	الذاريات 47-51

إن الطابع الحجاجي لعناوين المقالات الصحافية يتجلى –أساسا- في الأفكار والأقوال المتضمنة، فالسياق الذي جاء فيه المقال، إضافة إلى الكلمات المستخدمة وطريقة صياغتها وترتيبها، أضف إلى ذلك مختلف العلامات التي تجعل هذه العناوين أفعالا كلامية تفرض على المتلقي سلوكات معينة تسهم في تغيير منظومة معتقداته وأفكاره. كل هذا إضافة إلى جانب ظواهر أخرى مرتبطة بالاقتباس والاستشهاد، تشكل الإطار الذي يتجلى فيه العنصر الحجاجي والتداولي لعناوين المقالات.[31]

الوظيفة الحجاجية للظواهر البديعية:

تقوم البلاغة العربية على ثلاث ركائز أساسية، ألا وهي البيان والبديع وتلوين الأسلوب بما يوائم المقام . إن عناية رجال الإصلاح بهذه الركائز واضحة في كتاباتهم النثرية والشعرية عن قصد أو عن غير قصد، فتشبع الكتاب الإصلاحيين بالثقافة العربية الأصيلة قراءة وتعلما وحفظا جعل هذه اللغة التراثية البديعة مستدعاة بقوة في كتاباتهم أما القصدية فتتمثل في سعيهم الدائم نحو تكريس مبدأ المحافظة على الدين واللغة والعادات والتقاليد المجتمعية مالم تتعارض مع تعاليم الدين، وتوظيف اللغة البديعية وسيلة عملية للمحافظة على الشكل التقليدي للغة .

ومع هذا التوجه الواضح في كتابات ابن باديس على غرار سائر الإصلاحيين في توظيف أساليب البديع إلا أنه لا يقف عند الوظيفة الجمالية فحسب، بل هي قالب جمالي تصب فيه أفكاره الهادفة البناءة فترمي إلى الإصلاح شكلا ومضمونا، وقد أثنى في هذا الخصوص البشير الإبراهيمي على مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير "فهي زاد للعالم والأديب معا كل منهما ينهل منه حسب حاجته"[32] وسنتعرض لبعض هذه الظواهر الموظفة في عناوين مجالس التذكير.

ظاهرة التقابل: وهي ظاهرة تتنزل عند القدماء في دائرة المحسنات المعنوية، وهي في جوهرها مرتكز بنائي يتكئ عليها النص في علاقاته يساعد في إجلاء المعنى وتوكيده، ويكشف في الوقت ذاته عن كيفية تعامل الأديب مع اللغة وطريقة الكتابة [33]وتظهر هذه الظاهرة في أغلب نصوص وخطابات ابن باديس بما في ذلك بعض ظلال القرآن الكريم فإن الكاتب ما فتِئَ ينهل من أساليب الكتاب المعجز توضيحا لمعانيه وتجميلا لأسلوبه[34]. فتأثر ابن باديس بأساليب القرآن الكريم واضح في تأكيد معانيه موظفا أحد أهم هذه الأساليب وهو التقابل.

يحرص ابن باديس على توظيف التقابل لأن فيه استحضار لصورتين متضادتين في ذهن المتلقي لتصبحا شاهدتين كالعيان أمامه فيتحقق الفهم ويتعمق المعنى ويزيد رسوخا

في الذهن مما يستدعي التطبيق العملي لمضمونه وهو ما يسعى إليه ابن باديس في مشروعه النهضوي الإصلاحي ،فغايته لا تقف عند نقل المعلومة بل يسعى إلى التمكين للحقائق لا مجرد نقلها.

ونجد هذه الظاهرة تتكرر في عناوين كثيرة من مجالس التذكير ومنها : عنوان **"إرادة الدنيا وإرادة الآخرة"** فكأن ابن باديس يضع أمام المتلقين صورتين، صورة أولى لرجل يريد الدنيا ويعيش لها وصورة أخرى للرجل آخر أراد الآخرة وعمل لها. إذا تجاوزنا الغاية الجمالية نجد أن التقابل يستدعي تساؤلات عديدة في ذهن المتلقي تدفع به إلى ولوج عالم النص للإجابة عنها . فالتساؤل من أهم أدوات المعرفة، لأن فيه إعمال للعقل ومدعاة للتفكير والبحث ومن هذه التساؤلات التي: -ماهي صفات مريد الدنيا وماهي صفات مريد الآخرة ؟

- ماهي المعايير التي تساعدني في تصنيف نفسي إلى أيّ الصنفين أنتمي؟
- ماهي السبيل التي تكفل لي أن أكون من مريدي الآخرة دون أن أنسى نصيبي من الدنيا؟

كل هذه التساؤلات وغيرها مكتنز تحت عنوان **"إرادة الدنيا وإرادة الآخرة"** فالمسكوت عنه أكثر عمقا من المنطوق به، وهنا تظهر مهارة اختيار العنوان في الإشارة دون الإفصاح، وفي التشويق إلى مواصلة فعل القراءة والترغيب في تبني رأي الكاتب منذ العتبة الأولى فيسيران معا –المرسل والمتلقي-في بناء النص.

إذن التقابل في هذا العنوان –وغيره- يتجاوز الغاية الجمالية إلى الغاية الإقناعية، ويتحول من غاية في ذاته إلى أداة للحجاج.

والأمر ذاته تقريبا يتحقق في عنوان **" نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم"** حيث صاغه في شكل تقابلي يصور صنفين من الناس أحدهما نجا والآخر هلك وكليهما وصل إلى هذه النتيجة أفعاله(**بهداهم -بضلالهم)،** فتظهر لنا الوظيفة

الإغرائية للعنوان، فيودّ القارئ وهو عند عتبة النص دخوله بسرعة ليكون من صنف الناجين ويتخلص من صفات الهالكين.

والإغراء بالنجاة توظيف-غالبا- ما يلجأ إليه ابن باديس في عناوينه وفي مقالاته وخطاباته عموما، يمثل حقلا مهما من مجموع الحقول المؤسسة لمعجمه اللغوي، فنجده مثلا يعنون تفسيره الآية 108 من سورة يوسف **"سبيل السعادة والنجاة"** مع أن الكلمة المركز في النص هي الدعوة وفكرته العامة تحوم حول طريقة الدعوة وكيف يجب أن تكون وماهي صفات الداعي الصادق، إلا أنه اختار لها هذا العنوان المستوحى أولا من الآية قال تعالى:" قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" وثانيا يحمل هذا العنوان شحنة ايجابية تغري القارئ بمحتوى النص وتجذبه لمواصلة القراءة، و تجعله على استعداد تام لتطبيق محتواه حتى يصل إلى تحقيق الوعد الذي يكفله له العنوان **"السعادة والنجاة".**

ومع أن التقابل غير ظاهر لكن الاستدلال عليه يسير فالمظهر الحجاجي للخطاب كثيرا ما يوجد مخبوءا فيه على نحو مضمر، نجد لذلك مثالا في الملفوظ الذي يبدو تقويميا وهو "يمكن تحقيق الأفضل" والمثبت بدفتر التلميذ إذ يمكن أن يفهم منه "لما كان لهذا التلميذ بما له من إمكانات يمكنه تحقيق نتائج حسنة شريطة أن يكثف العمل"[35] فكأنه أراد أن يقول :ويمكننا أن نفهم من المضمر في هذا العنوان :"من اتبع فحوى الآية فهو على سبيل السعادة والنجاة ومن حاد عنها فهو في طريق الشقاء والهلاك".

ظاهرتا الجناس والسجع:

تمت الإشارة إلى السجع أثناء تحليل عنوان **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** خلص التحليل إلى نتيجة مفادها أن ابن باديس يوظفه بعده أداة حجاجية تحقق الغاية الإقناعية عن طريق التأثير النفسي الذي يثيره الجرس الموسيقي، فيكون أدعى للاستحضار والتذكر ،. تطبع هاتين الظاهرتين جلّ عناوين مجالس التذكير مثل : القرآن يصف عباد الرحمن، تفاوت الأرزاق من حكمة الخلاق، النظر في تفاضل البشر، صلاح

النفوس وإصلاحها، نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم.....وغيرها كثير مما يؤكد لجوء ابن باديس إلى هذه الظاهرة الصوتية البلاغية في صياغة عناوينه، ويجب الإشارة إلى أن هذه الظاهرة قليلة في نتاجه ولا يلجأ إليها إلا في مقامات معينة ومواقف تقتضي شيئا من الجرس الموسيقي ليوائم بذلك ما بين الصورة اللفظية وبين التجربة، إذن فابن باديس ليس مولعا بتجميل النص ولا متكلفا في صياغة عباراته وجمله خاصة وأن غايته هي التربية والتعليم فتجميل النص أداة في يده لتحقيق غايات كبرى وليس ابتغاء في ذاتها، يوظفها مراعاة لمقتضى الحال،[36] وهذا دليل آخر على المقصد الحجاجي من الظاهرتين اللتين تظهران بشكل بارز في العناوين وتغيبان في النص.

ظاهرة الإقتباس أو التضمين (التناص):

ينطلق المرسل في بناء خطابه من تأثره بخطابات سابقة، فينتج نصا تتشابك فيه مجموعة من النصوص الأخرى التي تركت فيه بصماتها الواحدة تلو الأخرى، ولذلك يظهر التوجه الفكري والثقافي للمرسل انطلاقا من النصوص التي تضمنها النص الجديد، وظاهرة التناص معروفة في الموروث اللغوي العربي تحت مصطلحات متعددة أهمها الاقتباس والتضمين، وإن الاتجاه الإصلاحي النهضوي الإصلاحي الذي يستمد له ابن باديس مبادئه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يفرض عليه أن يمد يده في كل لحظة لينهل منهما ويقتبس من بلاغتهما مثلما أخذ من هديهما.

ويلجأ الكاتب إلى الاقتباس من القرآن والحديث لما له من أثر بالغ في تقوية أفكاره وتدعيم رأيه بالحجة والبينة وإقناع المتلقين بها، ومن العناوين التي تظهر فيها هذه الظاهرة : **"القرآن شفاء ورحمة"، و" إخوان الشياطين"، "صدق المدخل والمخرج"، "مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين".**

الوظيفة الحجاجية في اختيار الألفاظ:

تسير ألفاظ العناوين المختارة –في أغلبها- في اتجاه واحد ومستمر يعكس النظرة التفاؤلية، والإيجابية التي يتمتع بها الكاتب، إضافة إلى حكمته في التعامل مع الأنفس التي

تحب التبشير وتأبى التنفير والتهديد، ومن هذه العناوين **القرآن شفاء ورحمة"، الود من إكرام الله لأوليائه، سبيل السعادة والنجاح، استثناء التائبين من المذنبين**. ومع ذلك فإن هناك من الناس من يحركه نحو السبيل القويم خوفه وخشيته من مصير الآخرة ولذلك يتسم جزء من هذه العناوين بهذه الصفة- على قلته-، وإن في هذا ظلال الخطاب القرآني الذي يتميز بالتنويع في خطابه البشر بين الترغيب والترهيب، وهو الرجل المتشبع بالثقافة الإسلامية والملازم للقرآن الكريم درسا وفهما وتفسيرا فيستقي من فيض كلام الله المعجز محاولا التأثير في المتلقين وإقناعهم بالتوجه نحو سبيل السعادة والنجاة بطرق وأساليب متنوعة.

الوظيفة الحجاجية في أساليب العناوين:

تنوعت العناوين الفرعية بين الجمل القصيرة والجمل الطويلة وما جاء في كلمة واحدة سوى عنوان واحد وهو**"الفرقان"** يحمل دلالات متعددة وغير واضحة، هذا الغموض النابع من اختزال العنوان في كلمة واحدة والتي تدل على القرآن فالفرقان صفة دالة عليه، وإن مجالس التذكير كلها تنطلق من القرآن الكريم فلم خُصّ هذا النص بهذه التسمية التي تؤدي إلى جذب القارئ نحو متابعة القراءة بعد أن شغف بها من غموض العنوان، فيريد فك شيفرته بقراءته النص كاملا.

أما العناوين الطويلة مثل **"من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد"** ومثل **"حفظ النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان"** فهي عناوين تمتاز بالوضوح، وتمثل فكرة عامة عن النص، بل وتقدم أحكاما يريد المتكلم من وراء هذا النوع من العناوين الانتقال بالمتلقي من الإجمال إلى التفاصيل، فيقدم النتيجة أولا ثمّ يفسر الظاهرة فيضع المتلقي في الصورة الكلية للنص عند عتبته، مقنعا إياه بالحكم الصادر في النص الموازي ،ثم يسيران سويا نحو إثبات ذلك الحكم .

اعتمد ابن باديس في صياغة العناوين الفرعية على الجمل الاسمية وغياب تام للجمل الفعلية، لأن الجملة الاسمية دالة على الثبات والدوام، وفيها حجة ودليل اقتناع المرسل بكلامه فيعكس اعتقاده بصحة خطابه إلى اقتناع بصحته عند المرسل إليه.

غلبت على العناوين الفرعية الأسلوب الخبري – وهو الأصل في صياغة العنوان – ولكن لجأ ابن باديس إلى أسلوب الإنشائي في بعض العناوين وبالتحديد أسلوب الاستفهام لأنّه مفتاح العلوم والمعارف والمنقب الأول عنها فمن جزع من الاستبهام فزع إلى الاستفهام[37]، إضافة إلى دوره الفعال في إثراء الخطاب وتلوين أساليبه، ومن هذه العناوين الاستفهامية : **"كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها؟"** ليأتي الجواب بعده مباشرة في الآية الكريمة **:{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}**، ومثل**:" أيهما أكمل : العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟"** إذن فالغرض من الاستفهام ليس طلب الفهم وهو الغرض الحقيقي منه وإنما يتجاوز هذا الغرض إلى أغراض بلاغية أخرى لعل أهمها في هذا السياق هو حث المتلقي إلى التفكير وإعمال العقل لمشاركة المرسل في بناء النص، حيث يتحول المتلقي من مجرد مستقبل إلى طرف مشارك في الاتصال، وهو ما يعطي حوارا داخليا بين المرسل والمتلقي.[38]فالغاية من توظيف الاستفهام والعدول عن الخبر الصريح هي غاية حجاجية لجأ إليها الكاتب مثلها مثل آليات أخرى متعددة ومتنوعة لإقناع متلقي خطابه.

خاتمة:

يخلص البحث إلى نتيجة محورية تتمثل في قدرة العنوان – تلك العبارة المختزلة – على احتواء آليات الحجاج، لها القدرة على الإقناع وتوجيه المتلقي نحو ما يريده له المرسل، غياب هذه القدرة والإمكانية في العنوان قد يؤدي إلى فشل الخطاب بالرغم من وجود آليات الحجاج في النص، لذلك يلاحظ في عناوين مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير العناية بتنويع عناصر الحجاج وآلياته اللغوية منها خاصة، وتضافرها في العنوان الواحد لاستمالة الجمهور وكسبه عند العتبة الأولى للنص فيتحقق له الاستعداد النفسي والقبول

العقلي لتلقي التوجيهات والمبادئ والأفكار الجديدة التي يحملها المشروع النهضوي الإصلاحي بقيادة عبد الحميد بن باديس.

---

[1] رتيبة محمدة بولوداني: مقال آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد16، ص100.

[2] الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي: عمارية حاكم. دار العصماء، سورية، ط1 ،2015م، ص141.

[3] ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب –عن كتاب نحو المعنى والمبنى: باتريك شارودو. تر:أحمد الودرني. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، ص19.

[4]مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس .تح: أبو عبد الرحمن محمود، مح 1 دار الرشيد، دار ابن حزم: بقلم الإمام محمد البشير الابراهيمي.مج1،ص 12

[5] الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب –دراسة تداولية- : عمر بلخير. دار الحكمة، الجزائر، 2009،دط، ص10.

[6] الأسس الحجاجية للقال الافتتاحي : عمر بلخير. ملتقى علم النص والتداولية - توظيف وتطبيق- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 16-17 ديسمبر 2006.

[7]لسان العرب: ابن منظور. ضبطه وعلق عليه: خالد رشيد القاضي. دار صبح ،بيروت/ دار إديسوفت، الدار البيضاء،ط1، 1427ه/2006م، مادة ع ن م.

[8]الشعر والتلقي – دراسات نقدية- عل جعفر العلاق. دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص173.

[9] العنوان في النص الابداعي –أهميته وأنواعه- :عبد القادر رحيم. جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008، ص

[10] دينامية النص (تنظير وإنجاز) : محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط4،2010، ص72.

[11]الحجاج في البلاغة المعاصرة-بحث في بلاغة القد المعاصر- محمد سالم الأمين طلبة. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2008،1،ص62.

[12] دينامية النص ص41-42

[14] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي.، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة،2009، ج4،ص95.

[15]لسان العرب: مادة ش هـــ ب.

[16] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره: ج3،مج5،338.

[17] المرجع نفسه :ج3،مج5،ص337.

[18] المنتقد ع1، جويلية 1925، ينظر :آثار عبد الحميد بن باديس، ج5،ص176.

[19] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج3،مج5،ص9.

[20] تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة-1830-2013-: فضيل دليو.دار هومة،الجزائر،ط2014،1،ص87.

[21] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: خطبة افتتاح للدروس(1348-1929)، مج 1، ص91.

[22] المرجع نفسه : مج1، ص13.

[23] الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني : جمعها أبو أسامة عمر خلفة. دار الفجر، 1432ه-2011م، ص416.

[24] مجالس التذكير مج1،ص55

[25] ينظر: الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 225-226.

[26] المثل السائر ج1، ص193.

[27] الخصائص الجزء 1،ص216. ينظر:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب.ج2،الدار العربية للموسوعات ،بيروت، لبنان،ط1، 1427ه،2006م،ص144-145.

[28] أساليب الإقناع، ص11.

[29] ينظر: الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 225.

[30] Ibn Badis commentateur du coran : Ali merad .librairie orientaliste PAUL GEUTHNER.1971.p85.

[31] الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب،ص217.

[32] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،بقلم الإمام البشير الإبراهيمي.مج1،ص15

[33] أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: محمد بن سمينة.دار الكتاب العربي،الجزائر،ط1، 2014،ج2، ص152

[34] المرجع نفسه ،ج2، ص 153.

[35] الحجاج بين النظرية والأسلوب (عن كتاب المعنى والمبنى)، ص11.

[36] ينظر: أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس ،ج2، ص179-180

[37] -أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. دار الفكر، بيروت، لبنان،1426ـــ2006، ط1،مادة (فهـــم).

[38] تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي : حمدي ابراهيم النورج. عالم الكتب، القاهرة،2014، ط1، ص133.

تاريخ الإيداع:2015/09/13 تاريخ القبول:2016/05/15